

وبقي يهود خيبر على أرضهم حتى خلافة عمر بن الخطاب ، فلما رأى منهم الغدر ، حينما جرحوا (عبدالله بن عمر) قضى عليهم ، وقيل إنه أراد أن ينفذ قولاً ، سمعه من الرسول (ص) ، وهو « لا يجتمعن في جزيرة للعرب دينان » ، وأمر بإجلالهم نهائياً عن الحجاز .

الفصل السادس

تعميم نشر الدعوة الإسلامية

إن للدعوة ، التي حمل محمد (ص) رسالتها ، وأمانة تبليغها ، لم تكن قاصرة على العرب وحدهم ، وإنما كانت عامة ، للناس أجمعين . وللقرآن الكريم يخاطب بآياته للناس ، دون تفریق ، أو تمييز : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » . « يا أيها الناس ، اتقوا ربكم ، الذي خلقكم من نفس واحدة » . « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً » . « إن هو إلا ذكر للعالمين » . « تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » . « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، ولكن أكثر للناس لا يعلمون » . « قل يا أيها الناس إني رسول الله ليكنم جميعاً » .

لهذا أفاد الرسول (ص) من الفرصة التي منحتها إياها الهدنة مع قريش ، وقام بتبليغ رسالة الإسلام إلى ملوك الدول ، المجاورة لجزيرة

للعرب ، والأمراء ، للقرييين منه . وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا في زمن مسير الموفدين بكتب للرسول ، وهل كان ذلك قبل غزوة خيبر أم بعدها ؟ فإنه مما لاخلاف عليه أن كتب الدعوة إلى الإسلام انطلق بها حملتها من عند الرسول (ص) . وقد أخبر محمد (ص) أصحابه بما سيقوم به من إبلاغ الملوك والأمراء بدعوة الإسلام ، وربما أراد بذلك أن يهيبه المسلمين لصراع مرتقب مع بعض هؤلاء الحكام ، ممن سيقابلون الدعوة بالحرب ، ووافق للصحابة رسولهم على ما أراد .

سار (دحية بن خليفة الكلبي) بكتاب محمد إلى هرقل ، قيصر الروم ، وكن ، حين حمل إليه للكتاب ، في بلاد الشام ، بعد انتصاراته للواسعة على الفرس ، واستعادة ما كانوا قد استولوا عليه من أملاك الروم ، وقد جاء في للكتاب :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد ، رسول الله ، إلى هرقل ، عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فإن عليك إثم الأرسيين (وهم أتباع للقيصر من الفلاحين) . « يا أهل للكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا تشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، ولما سمع هرقل ترجمة كتاب للأنبي (ص) ، لم يغضب ، بل أكرم حامله ورد عليه رداً جميلاً ، جاء فيه :

(إلى أحمد ، رسول الله ، الذي بشر به عيسى . من قبصر ، ملك
لروم : إنه جاءني كتابك مع رسولك ، وإني أشهد أنك رسول الله ،
نجدك عندنا في الإنجيل ، بشرنا بك عيسى بن مريم ، وإني دعوت الروم
أن يؤمنوا بك ، فأبوا . ولو أطاعوني لكان خيرا لهم ، ولو ددت أني
عندك ، فأحدثك ، وأعسل قدميك) .

كذلك وجه للرسول (ص) ، إلى النجاش ، ملك الحبشة : خطابا
حملة إليه (عمرو بن أمية) ، وجاء فيه :

« هذا كتاب من محمد ، النبي ، إلى النجاش ، عظيم الحبشة ، سلام
على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ،
وحدده ، لا شريك له ، لم يتخذ صاحبه ، ولا ولدا ، وأن محمداً عبده
ورسوله ، وأدعوك بدعاية الإسلام ، فإني رسول الله ، فأسلم تسلم :
« يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله
ولا نشرك به شيئاً . ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فقولوا
أشهدوا بأنا مسلمون » ، فإن أبيت ، فعليك إثم للنصارى من قومك)

وقد رد النجاش ، على الرسول (ص) ، رداً جميلاً جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليك يا رسول الله ، من الله ،
ورحمة الله وبركاته . لا إله إلا الذي هداني . أما بعد ، فقد أرسلت إليك ،
يا رسول الله ، من كان عندي من أصحابك ، المهاجرين من مكة إلى بلادي ،
وها أنا أرسل إليك ابني (أريحا) ، في ستين رجلاً ، من أهل الحبشة ،
وإن شئت أن آتيك بنفسي ، فعلت ، يا رسول الله ، فإني أشهد أن

ماتقوله الحق ، والسلام عليك ، يا رسول الله ، ورحمة الله وبركاته .
 وكتب للرسول إلى (الحارث بن أبي شمس للغساني) ، صاحب
 دمشق ، كتاباً ، بعثه مع (شجاع بن وهب) جاء فيه :
 (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد ، رسول الله ، إلى (الحارث
 ابن أبي شمر) : سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وصدق ، إني
 أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكك) .
 فلما أتاه الكتاب ، قال : « من ينزع مني ملكي ، أنا سائر إليه (أي محاربه ،
 ولم يسلم . فقال للرسول : « باد ، وباد ملكه) .
 كذلك بعث للرسول (ص) (الحارث بن عمير الأزدي) بكتاب
 إلى صاحب بصرى ، فلما نزل مؤته (وهي قرية من قرى البلقاء في
 حدود الشام) ، اعترضه (شرحبيل بن عمر للنسائي) ، وقتله .
 وحمل (حاطب بن أبي بلقعة) كتاب محمد (ص) إلى المقوقس ،
 عظيم القبط ، وحاكم مصر ، من قبل هرقل ، امبراطور الروم ، وجاء في
 هذا الكتاب :
 (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله ،
 إلى المقوقس ، عظيم القبط : سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني
 أدعوك هداية الإسلام ، أسلم بؤتك الله أجر كمرتين ، فإن توليت ، فعليك
 إثم القبط . « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد
 إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله

فإن تولوا ، فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون . فأحسن المقوقس استقبال رسول النبي ، وأجابه بقوله : « كنت أعلم أن نبياً قد نبى ، و كنت أظن أن مخرجه للشام . وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في لاهـرب ، في أرض جهد وبؤس ، وللقبط لا تطاوعني في اتباعه ، ولا أحب أن يعلم بمحاوري إياك . » وبعث إلى النبي (ص) هدية مع جاريتين وبغلة بيضاء . وقد تزوج للرسول بإحدى الجاريتين ، وهي مارية للقبطية ، لاني ولدت له ابراهيم . أما الأخرى (سـيرين) فقد أهداها للنبي (ص) لحسان بن ثابت . وقد ذكر أن المقوقس لم يعتنق الإسلام ، خشية أن يسلبه للروم حكم مصر .

لم يكتب للرسول (ص) بالكتابة إلى هؤلاء الذين كانوا على النصرانية ، بل كتب ايضاً لمن كانوا على المجوسية ، أو للوثنية : فبعث إلى ملك الفرس ، (كسرى أبزون) ، خطاباً حمله إليه (عبد الله بن حذافة السهمي) ، وقد جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد ، رسول الله ، الى كسرى ، عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، عز وجل ، فإني رسول الله إلى الناس كلهم ، لأنذر من كان حياً ، ويحق للقول على الكافرين . أسلم تسلم ، فإن توليت ، فعليك إثم المجوس .

فلما قرىء الكتاب على كسرى ، غضب ومزقه ، وأرسل إلى

عامله على اليمين، وهو (باذان)، يأمره أن يبعث من يأتيه بهذا الرجل
(أي للرسول ص)، وفعلاً أرسل (باذان) رجلين، يستطلعان خبر
محمد، واتصلا به، فطلب إليهما أن يحملا إلى (باذان) دعوته إليه
للإسلام. وكان أن أسلم (باذان) .. وانتشر الإسلام في اليمين،
وألحقت هذه المنطقة بدولة الإسلام الناشئة.

ولما علم محمد (ص) بتمزيق كسرى كتابه إليه، قال: «مزيق الله
ملكه».

وكان من بين أمراء للعرب، للذين أرسل إليهم للرسول كتاباً،
يدعوهم فيها إلى الإسلام (المنذر بن ساوى)، أمير البحرين، فقد بعث
إليه للرسول كتاباً مع (العلاء الحضرمي). فكتب إليه (المنذر):

(أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل للبحرين، فمنهم من
أحب الإسلام، وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه. وبأرضي
يهود ومجوس، فأحدث إلى في ذلك أمرك). فكتب إليه للرسول (ص):

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد، رسول الله، إلى المنذر بن
ساوى: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله. للذي لا إله إلا هو، وأشهد
أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، أما بعد: فإني أذكرك الله
(عز وجل)، فإن من ينصح، فإنها ينصح لنفسه، وإنه من يطع
رسلي، ويتبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن نصح لهم، فقد نصح لي،
وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك
للمسلمين ما أسلموا عليه، وعتوت عن أهل للذنوب، فاقبل منهم.

وإنك، مهما فعلت، نجزيك عن عملك . ومن أقام على مجوسيته ، أو
يهوديته ، فعليه الجزية .)

وكتب للرسول إلى أميرى عمان (جيفر، وعباد ، ابني الجلندي)
كتاباً ، بعثه مع (عمرو بن السهمي) ، وجاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد ، عبد الله ورسوله ، إلى جيفر
وعباد ، ابني الجلندي : سلام الله على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني
أدعوكم بدعابة الإسلام ، أسلمنا مسلماً ، فإني رسول الله إلى الناس كافة ،
لأنذر من كان حياً ، وبحق للقول على الكافرين . وإنكما إن أقررتما
بالإسلام ، وليتكما ، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام ، فإن ملككما زائل
عنكما ، وخيلي نحل بساحتكم ، وتظهر قوتي على ملككما » فأجاباه
إلى الإسلام ، وصدقا بنبوته (عليه السلام) .

وسار (المهاجرين أمية المخزومي) بكتاب للرسول (ص) إلى
الحارث الحميري ، ملك ليمن ، فغضب ورددا قبيحا .

وسار (سلبط بن عمرو) بالرسالة إلى حاكم اليمامة (هوذة بن
علي الحفقي) ، فأظهر استعدادة لقبول الإسلام ، لكنه كان يشترط
تنصيبه حاكماً ، ويساوم على ذلك ، فلغنه النبي ، لمطامعه للشخصية .

ولا ريب أن هذه الكتب ، التي وجهها الرسول (ص) إلى الملوك
والأمراء ، المعاصرين له ، توضح لنا سياسته في العمل على تعميم نشر
للدعوة الإسلامية ، كما تؤكد حرصه على تحقيق ماورد في القرآن
الكريم من مطالبته للناس جميعاً بالدخول في الإسلام .

لقد حدثت ، على حدود الشام ، حوادث جعلت رسول الله

(ص) يلتفت نحو الشمال، وبوليه قدراً كبيراً من اهتمامه، حيث كان هذا الشمال هو طريق منطلق الدعوة وانتشارها، خارج جزيرة العرب أما تلك الحوادث، فهي: مقتل حامل رسالته إلى حاكم بصرى، ثم قتل بضعة عشر رجلاً من المسلمين، كان قد أرسلهم إلى ذات اللطاح، على حدود الشام، يدعون إلى الإسلام، فقتلوا، ولم ينج منهم إلا واحد فقط. ولهذا وجه الرسول (ص) عنايته إلى هذه المنطقة الشمالية، بعد أن كان قد أمن الجنوب، بصلحه مع قريش: فكان لا بد من تأديب الأعراب، للذين غدروا بدعاة المسلمين، وتأديب الغساسنة، للذين قتلوا حامل رسالته إلى بصرى.

جهز النبي (ص) حملة، قدرت بثلاثة آلاف مقاتل، بقيادة (زيد ابن حارثة)، وأمرهم، إن استشهد (زيد)، فأمرهم (جعفر بن أبي طالب)، فإن استشهد، فأمرهم (عبد الله بن رواحة). وخرج الجيش، ومعه (خالد بن الوليد)، وكان حديث الإسلام، فأراد أن يظهر حسن بلائه في سبيله. وودعهم الرسول (ص)، وأوصاهم ألا يقتلوا للنساء ولا الأطفال، ولا المكفوفين، ولا يهدموا المنازل، ولا يقطعوا الأشجار. وعندما وصلت قوات المسلمين منطقة معان، في بلاد الشام، كانت أنباء سيرهم إليها قد وصلت إلى الروم، فحشدوا قواتهم في منطقة اللبقاء (مواب)، وقد بلغ عدد هذه للقوات مائة ألف جندي، ومعهم مثلهم من القبائل العربية، المحالفة للروم، يقودهم هرقل (وفي رواية أخرى أخوه، نيودور). وإذا كان هناك مبالغة في تقدير عدد أفراد هذه

للقوات ، فإنه ، مما لاشك فيه ، أن للعدد كان كبيرا ، ويبلغ أضعاف
عدد رجال القوة الإسلامية . ولهذا تردد قادة المسلمين ، أمام هذا
التفوق للعددي ، ولكن حماس البعض دفع إلى خوض غمار المعركة ،
حيث قال (عبد الله بن رواحة) : « فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسينين :
إما ظهور ، وإما شهادة » . فوافقهم للقوم ، وزحفوا للقتال .

جرت المعركة بين قوتين غير متكافئتين ، عند قرية مؤتة ، واسمات
قادة الجيش ، فقتلوا ، الواحد تلو الآخر : زيد ، فجعفر ، فعبد الله .
وتناول للرابية (ثابت بن الأرقم) ، وصاح بالمسلمين أن يتفقوا على
إمارة رجل منهم ، فتم الاتفاق بسرعة على (خالد بن الوليد) .

قدر (خالد) ظروف المعركة ، وإمكانات المسلمين فيها ، وقرر الانسحاب
لإنقاذ المسلمين من الموقف الحرج ، والذي تعرضوا له ، وأفاد من حلول
الظلام ، وأعاد تنظيم قواته ، وألف قوة ، جعل منها مؤخرة ، لحمايته
الانسحاب . ونجحت هذه للقوة في تأدية مهمتها ، بالانتشار على جبهة
واسعة ، أحدثت ضجة ونشاطا كبيرين ، لإيهام للعدو بوصول إمدادات
جديدة ، ولتغطية عملية الانسحاب ، ومنع للعدو من مطاردة الجيش
المنسحب . وكانت هذه للعملية هي التي أنقذت الجيش الإسلامي من
فناء محقق ، و كارثة كبرى . ولم تكن الخسائر لتتجاوز اثني عشر شهيدا
وقد أوقع المسلمون بصنوف للعدو خسائر أكثر من عددهم ، ولم تجرؤ
قوات للروم على مطاردة المسلمين .

اعتبر بعض المسلمين ، في المدينة ، عودة الجيش ، بهذا الشكل ،
فرارا ، ولهذا هتف بعضهم في وجوه المعاندين : « يا فرار ، فررتم في سبيل

الله . لكن للرسول أجاب هذا النفر من الناس بقوله : « إنهم ليسوا بالفرار ، ولكنهم للكرار إن شاء الله . و كان للنبي (ص) ، كفاؤده عسكري ، يقدر أهمية سلامة الجيش ، في مثل ظروف معركة مؤتة ، ولذلك اثنى ثناء عاطرا على (خالد) ، لانسحابه للرائع .

ولما كانت بعض للقبائل قد اشتركت مع الروم ، في حرب المسلمين ، يوم مؤتة فقد أرسل للرسول (ص) (عمرو بن العاص) ، لتأديب تلك للقبائل ، واستنصار للقبائل ، في شمالي الحجاز . و كانت أمه من تلك للقبائل . وعندما وصل عمرو الى ماء ذات للسلاسل ، طلب المدد من للرسول ، فأمدته بقوة من كبار للصحابة ، (وبينهم أبو بكر و عمر) بقيادة (أبي عبيدة الجراح) ، ووصاه للرسول ألا يختلف مع عمرو ، وعندما وصل أبو عبيدة ، حدث اختلاف على القيادة للعامه ، وقال عمرو . « هي لي ، وأنت إنما جئت مدداً » و كان موقف أبي عبيدة موقف للرجل ، المطيع لأمر للنبي (ص) ، فقال : « يا عمرو ، إن رسول الله قال لي لا تختلفا ، وإنك إن عصيتني أطعك . » وفعلا ، أطاع أبو عبيدة ، وخضع لقيادة عمرو ، الذي طارد بعض للقبائل ، المحالفة للروم . وشتت شملها ، وأعاد سمعة المسلمين وهيبهم ، إلى ما كانت عليه ، قبل حادثة مؤتة .